

الأيدولوجيا والراوي في روايات عمر فضل الله

Ideology and the narrator in the novels of Omar Fadlallah

م.د. وسن عبد السادة جودة

فرع العلوم الاساسية، كلية الطب، جامعة ابن سينا للعلوم الطبية والصيدلانية

Lecturer.Dr.Wasan Abdalsada Joda

Ibn Sine University for Medical and Pharmaceutical Sciences

wasanjoda@gmail.com

المستخلص :

تناولنا في البحث مصطلح الأيدولوجيا في ضوء نماذج من روايات الكاتب السوداني (عمر فضل الله) : (أنفاس صليحة) و(تشرية المغربي) و(رؤيا عائشة) بعد الأخذ بمفهوم أن الأيدولوجيا لا تقتصر على البعدين الاجتماعي والتاريخي بل تتعدى الى الجانب النفسي عند تحليل العلاقات الإنسانية والاجتماعية. وقد جاءت الأيدولوجيا فيها على خمسة أنواع : أيدولوجيا الاهداء، والأيدولوجيا المجتمعية، وأيدولوجيا الانتماء والأيدولوجيا الدينية، والأيدولوجيا السياسية. وقد اعتمد الكاتب تقنية الراوي المتكلم في الروايات (نماذج البحث) لخلق شخصيات تصور أحداث تاريخ السودان من الماضي البعيد والحديث، كما تتماهى مع صورة الراوي التراثي الذي يخبرنا بتفاصيل أحداث الماضي وحكايات الأجداد وما عانوه في حياتهم من أجل البقاء والتغلب على صعوبات الحياة وإيصال الحكمة والموعظة الى جيل الأبناء والأحفاد من أجل خلق مستقبل أفضل لهم وعدم تكرار أخطاء الماضي. ولا يخفى أثر الراوي المتكلم في خلق أيدولوجيا واحدة تحكم العمل الروائي وقد جاءت هذه الأيدولوجيا متوافقة مع رغبة الكاتب الحقيقية في تصوير تاريخ السودان والتعريف به وبيان عمق الامتداد الحضاري له وتغيير الصورة

النمطية المستقرة في الاذهان عن كون أفريقيا بلد الأدغال والوحوش بعيدا عن معالم الحضارة . وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النماذج الروائية.

الكلمات المفتاحية: الأيديولوجيا، الراوي، أنفاس صليحة، تشريفة المغربي، رؤيا عائشة، عمر فضل الله .

Abstract:

In the research, we dealt with the term ideology in the light of examples from the novels of the Sudanese writer (Omar Fadlallah): (Anfas Saliha),(Tashreeqa al-Maghribi) and (Aisha's Vision) after taking into account the concept that ideology is not limited to the social and historical dimensions, but rather goes beyond the psychological aspect when analyzing Human and social relations. There are five types of ideology: the ideology of dedication, the societal ideology, the religious ideology, and the political ideology. The writer has adopted the technique of the speaking narrator in the novels, the research models to create characters that depict the events of the history of Sudan from the distant past and the modern, as well as the image of the traditional narrator who tells us the details of the events of the past and the stories of the ancestors and what they suffered in their lives in order to survive and overcome the difficulties of life and deliver wisdom and admonition to a generation Children and grandchildren in order to create a better future for them and not to repeat the mistakes of the past. The effect of the narrator speaking in creating a single ideology that governs the fictional work is not hidden. This ideology comes in line with the writer's true desire to depict the history of Sudan and defines it and shows the depth of its civilizational extension and change the stereotype that is stable in the mind about The fact that Africa is a country of jungles and monsters far from the features of civilization. The research adopts the descriptive analytical approach in studying novel models.

Keywords: : ideology, the narrator, Anfas Saliha, Tashreeqa al-Maghribi, Aisha's vision, Omar Fadlallah.

المقدمة:

إنّ مصطلح الايديولوجيا قد وضع من قبل الفيلسوف (دوتراسي) عام 1796 وباعتقاده أن الايديولوجيا كلمة واضحة ومفهومة فالجميع من الفلاسفة وغيرهم يدركون معنى الأفكار ،وفي الوقت نفسه هذه الكلمة تزودنا بهدف ووسيلة العلم الناتج عن تحليل الأحاسيس والأفكار . فالهدف يتمثل في معرفة الإنسان من خلال تحليل قدراته (ابراهيم، 2017، صفحة 49) في التوصل إلى الفكر السليم. وتكون الوسيلة بدراسة النحو العام للفكر الإنساني من أجل الكشف عن تأثير الأفكار الموروثة والتقاليد والمعتقدات، ومن ثم تحرير الإنسان من سلطة الموروث عامة. وهذا الاتجاه الإصلاحى الشامل الذي ميّز فلاسفة القرن الثامن عشر على الرغم من اختلاف توجهاتهم الفكرية، مما دعا إلى نبذ الخلافات (العروي، 2012، صفحة 28)، وتوحيد الجهود في سبيل تحليل قدرات الإنسان ومعرفة المؤثرات فيه . ويبدو لنا أن الايديولوجيا مصطلح تطور من خلال تنوع معانيه مع الواقع، فالبداية كانت للشباب الايديولوجيين في مواجهة فكر رجال الكنيسة، فكانوا يوصفون بالحالمين، ثم اشتدوا أكثر ودخلوا المعتزك السياسى لصالح الثورة الفرنسية مع (نابليون بونابرت) فمثلوا الفكر الجديد الذي دخل كلّ مجالات الحياة ولاسيما التربية والتعليم، وعلى الرغم من عددهم الكثير كانوا يتصفون بالتنظيم والوعي حتى انحصر وجودهم في المجال السياسى، ومن هنا ارتبطت الايديولوجيا بالسياسة. لذلك نلاحظ أن تعريفات الايديولوجيا في معاجم المصطلحات تشير إلى هذه المفاهيم التي قد لا ندركها من دون الرجوع إلى ملايسات نشأة الايديولوجيا، ومنها ما ورد في كتاب المورد (قاموس إنجليزي - عربي)((أ- وضع النظريات بطريقة حاملة أو غير عملية... ب - طريقة (أو محتوى) التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة. ج- النظريات والأهداف المتكاملة التي تشكل قوام برنامج سياسى اجتماعى : مذهب)) (البلبكي، 1990، صفحة 447) ، وكذلك الايديولوجيا تعرّف ب(علم الأفكار)، كما ورد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ((أ-هي علم ... موضوعه دراسة الأفكار والمعاني ، وخصائصها، وقوانينها وعلاقتها بالعلامات التي تعبر عنها، والبحث عن أصولها بوجه خاص ... ب- تطلق على التحليل والمناقشة لأفكار مجردة لا تطابق الواقع. ج- عند ماركس جملة الآراء والمعتقدات الشائعة في مجتمع ما، من دون اعتداد بالواقع الاقتصادى)) (وهبة و المهندس ، 1979، صفحة 41)، ومن خلال هذه التعريفات يمكننا أن نستشف طبيعة العلاقة بين الفن والعلوم، ولاسيما علاقة الأدب بالعلم لأنّ العلوم جميعها تمثل أفكاراً مجردة، وتسعى الفنون جميعها إلى تمثّلها وتصويرها، وتحويلها الى محسوس بالكلمة أو الصورة أو الصوت فضلا عن تمثل عالم المشاعر والأحاسيس ودمجها مع الأفكار المجردة، وتحويلها الى موجودات تنبض بالحياة في العالم الفنى على اختلاف اشكاله ووسائله.

وقد رأى المفكر اليساري (ماكس هوركهايمر) أن الايديولوجيا لا تقتصر على البعدين الاجتماعي والتاريخي بوصفهما وعيا زائفا، بل أكد ضرورة إظهار العامل النفسي والاجتماعي عند تحليل العلاقات الاجتماعية التي تنتج الايديولوجيا (مبروك، 2011، صفحة 127) وهذا الرأي يوسع مفهوم الايديولوجيا في الأدب، لأنّ الأدب يحمل الكثير من المعاني والدلالات وبمختلف الاتجاهات في تصوير المجتمعات والنفس الانسانية . وهذا مما يمكن أن يتوافق مع مصطلح (رؤية العالم) عند (لوسيان كولدمان) الذي يتمحور حول الضمير الجماعي لقطاع معين، فانتماء الفرد لطبقة اجتماعية معينة له أثاره على تفكيره وسلوكه وعواطفه داخل المجتمع عامة، مع تأكيد أهمية المحافظة على المصالح المادية لتحقيق الوحدة والتماسك وخلق الوعي والموقف الشامل من الحياة. (فضل، 1978، صفحة 243)

في روايات (عمر فضل الله) نجد ايديولوجيا الكاتب واضحة في عرض تاريخ السودان القديم والحديث، ولاسيما أن التاريخ يمثل سجل حياة الأمم والأفراد والمجتمعات بصورة خاصة وعامة. وقد جاء في تعريف التاريخ اصطلاحا بأنه ((جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، وتصديق على الفرد والمجتمع، كما تصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية)) (وهبة و المهندس ، 1979، صفحة 48) وقد سبق أن أشار (ابن خلدون) في مقدمته الى حقيقة التاريخ بأنه ((خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران)) (ابن خلدون ، 2004، صفحة 48) لذلك لجأ الكاتب إلى تقديم الشخصيات الروائية مع الشخصيات التاريخية الحقيقية لتكون مؤشرا على الأحداث والحقب التاريخية والايديولوجيات المتنوعة التي ينهل منها الروائي (عمر فضل الله) وسجلت حضورا واضحا في رواياته موضوع البحث، ومن ثم يمكننا تقسيم الايديولوجيا في الروايات نماذج البحث على أنواع : أيديولوجيا الإهداء، والايديولوجيا المجتمعية، وايديولوجيا الانتماء، والايديولوجيا الدينية، والايديولوجيا السياسية .

ايديولوجيا الإهداء: في روايات (عمر فضل الله) جاءت عتبة إهداء الروايات - نماذج البحث- محملة بإشارات ودلالات، تعكس وجهة نظر الكاتب ورغبته الأيديولوجية (الفكرية والثقافية). ولا يخفى الدور الكبير الذي يؤديه الإهداء في نسج ((العلاقات الحميمة والثقافية والحضارية بين الكاتب وكل من يصل إليه إهداء الكاتب))

(بلعابد، 2008، صفحة 99) وهذه الأيديولوجيا تحقق إعادة قراءة لتاريخ السودان وماضيها من أجل نشر الوعي الثقافي وتغيير نظرة الآخرين عن بلده، فموقعه في افريقيا لا يعني خلوه من الحضارة واقتصاره على الوحوش والادغال كما ورد في تصريح اهدائه في رواية (تشريقة المغربي) بقوله: ((يا من تظنون أن افريقيا جنوب الصحراء لم تكن بها على مدار القرون الماضية سوى الادغال والوحوش والعرابة، أهديكم سحر أساطيرها وعبق أيامها. يامن عرفتم التغريبات من مشرقها، اليكم تشريقة واحدة من مغربها)) ففي هذا الإهداء العام الذي يتوجه به الكاتب الى القراء عامة بخطاب تنبهي مباشر دون تمهيد بالعبارة، مما يستثير فكرهم ويربك مسلمات ظنهم بافريقيا، وأن فيها من الجمال والسحر والحضارة مالم يكن بحسبانهم . وهو ما سينطق به ابن المغرب شهادة بحق الشرق وسحره. فهذه التشريقة للمغربي هي احياء لصورة جديدة عن افريقيا عامة، وموطنه السودان خاصة فهي بلاد فيها أصول الحضارة بسبب موقعها الجغرافي ووجود منابع نهر النيل فيها، ومعروف أن أقدم الحضارات نشأت بأراضي الأنهار. وفي إهداء رواية (رؤيا عائشة) حرص الكاتب على إظهار فكرة ضرورة المحافظة على تراث الأجداد، وإقامة الصلة ما بين الماضي والحاضر، وإعادة قراءة التاريخ بما يصب في مصلحة مستقبل الأمة، ويمثل إهداء خاصا، إذ يتوجه به الى الأجداد والآباء والابناء ولاسيما أن هذه الرواية طرحت حقبة من التاريخ السوداني الحديث، بقوله: ((إلى أجدادي وآبائي الذين مضوا الى الله بعد أن تركوا من خلفهم وطنا يسع الجميع، واجيالا طموحة تسعى لإعمارها . وإلى أبناء جيلي الذين ورثوه من الآباء والاجداد فأفنوا الاعمار من أجل الحفاظ عليه. وإلى أبنائي من الأجيال الحاضرة التي ترغب في العودة لماضيها معتبرة بأحداثه قبل أن تمضي قدما على بصيرة نحو تغيير واقعها وصناعة مستقبلها الذي ترجوه)). ونجد الإهداء الذاتي الوجداني المعبر عن مشاعر الكاتب وأحاسيسه الطيبة تجاه المرأة عامة والأم خاصة، والشوق الى (الأب) وحضوره في وجدان الكاتب، كما في إهدائه لرواية (أنفاس صليحة)، إذ يقول : ((إلى أمي الحاضرة في عقلي وقلبي وروحي كلما كتبتُ عن امرأة صالحة. وإلى أبي الذي حاولت تقليده في شخصه فما بلغت عشر معشار ما أوتي. أشتاق للقائكما فقد فاض بي الحنين)).

الأيديولوجيا المجتمعية: في رواية (انفاس صليحة) يقف العالم التخيلي للأحداث الحكائية على انقاض مملكة (علوة) المسيحية في السودان عام 1504م، وسقوطها وصراع القبائل والجماعات من مختلف الاتجاهات والمذاهب على ما خلفته هذه المملكة ذات العمق الحضاري. فقد حرص الكاتب على بيان أن عاصمة هذه المملكة (سوبا) تمثل حضارة فيها مظاهر العمران من القصور والكنائس والبيوت الجميلة والتنوع السكاني

والاختلاط الحضاري: ((حين دخلها الغزاة...دمروا كلّ تمثال وجدوه. بدأ برأسي الأسيديين الزجاجيين الرابضين عند مدخل قصر الملك قبالة ساحة المدينة، ثم دمروا تمثال الكيش المروي الذي كان منتصبا أمام مدخل كنيسة ماريا الكبيرة التي قامت شامخة قبل ذلك مئات السنين في وسط المدينة بجدرانها الحجرية...وأبوابها المصنوعة من الذهب الخالص...انقلبوا يهدمون بيوت (سوبا) الجميلة المبنية من الآجر الأحمر، يخربون حدائقها وبساتينها الغناء ودورها الواسعة)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 15)، كما أن الوجود السكاني في مناطق هذه المملكة قديم غير معروف البدايات: ((أصحاب تلك الأرض من (المحس) و(النوبة)(العنج) و(الهمج)...سكنوا جوار النيل وامتحنوا الزراعة منذ زمان قديم والناس لم يطلقوا عليهم اسم القدماء إلا لأتهم كانوا من الاقدمين حقا، ولا يعرف جيرانهم بداية تاريخهم، بل هم أنفسهم لا يعرفون تاريخهم الموهل في القدم على هذه الأرض. ويقال إنهم استوطنوها ولم يغادورها منذ عهد "نوح" ابي البشر الثاني... وغلب عليهم اللسان العربي الذي امتزج بالألسن النوبي والبجاوي والحبشي منها، حين اختلطوا بالقبائل العربية القادمة من الشمال والشرق، فتحدثوا العربية الهجين التي أصبحت هي لسان أهل علوة)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 22)

ويكفي الدولة السنارية (1504-1821م) في رواية (تشيقة المغربي) فخرا إنها لم تكن واقعة تحت الحكم العثماني، وبنانتقال مقر السلطنة من (فازوغلي) الى (سنار) شهدت هذه المنطقة بدء العمران وازدهار التجارة والاقتصاد ومجيء الخواجات وأصحاب المهن والحرف ونشوء مهن وحرف جديدة في سوق العمل ((جاء الصاغة من مصر وبلاد المغرب، وانتشرت صياغة حلي الشقش الذي بدأت صناعته في مصر واطلقوا عليه اسم الشقش السناري...كما انتشرت صناعة المراكب والسواقي التي تدار بالثيران، والحمير، والجمال لرفع الماء من النهر الى المزارع، وانتشرت أدوات الانتاج الزراعي...وازدهرت النجارة لصناعة الأبواب والشبابيك، بينما بدأ التجار يجلبون صناعات الفخار...السلطان أمر بإنشاء صناعة سك النقود من الذهب والفضة)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 129) ومن وسط الغابات تعرض لنا شخصية (عبد السميع) مشاهداتها عن القرى والمدن والتنوع السكاني من خلال وصف منطقة (فازوغلي) حيث بيوت الطين والقش والأكواخ والأثاث البسيط المصنوع من الفخار والجلود والاختشاب وكذلك يصف لنا ملابس السكان: ((الناس هنا لهم ألوان شتى، وسحنات مختلفة، ووجوه تدل على قبائل كثيرة مختلطة... اكتشفت أحياء مخصصة لكل قبيلة لا يخالطهم فيها أفراد قبيلة أخرى، وأحياء كاملة للعبيد، وأخرى للجنود. واكتشفت أحياء خاصة للفونج، وغيرها للهمج، ورأيت بعض منازل التجار، ومنازل القادة. مظهر المدينة المتواضع لا يدل على هذا الثراء الفاحش الذي لاحظته في مجتمع التجار. معظم نساء التجار مثقلات

بالذهب والحلي، يصبغن أيديهن وأرجلهن بالحناء السوداء، ويلبسن الثياب الفاخرة من نسيج مصر، مثل الثوب الأبيض، وثياب الدنقس، والقرن. لكنهن رغم ذلك الترف لا يخطن الثياب. فإذا تحركت الواحدة منهن في مشيتها انكشف جزء من جسمها، أو بانَت مفاتها. بينما يلبس التجار الثوب المنيري، والبصراوي الأخضر، والحذاء الصرموجة، وعمم الشيشان الفاخرة، والكوفية المصنوعة من الفضة، أو الحرير الصرف، أو الحرير المذهب، توضع على الرأس ويسقط بعضها على الظهر. لاحظت أنهم لا يخيطنون الثياب البتة. وعلمت أن الخياطة محرمة في أعرافهم وتقاليدهم. لم أتخيل قط في حياتي أن هناك ترفاً وبذخاً بهذا المستوى في وسط هذه الأدغال)) (فضل الله ، 2020، الصفحات 36-37) يستمر (عبد السميع) بهذه العين الفاحصة والناقذة يخبرنا بأحوال هذا المجتمع بكل تناقضاته واسراره وتقسيم طبقات المجتمع فطبقة الملوك والنبلاء تتمتع بكل الامتيازات ثم طبقة القادة والجنود بعدها طبقة التجار ثم طبقة رجال الدين - حسب المعتقد - بعدها طبقة عامة الناس من الصناع والمزارعين والعبيد. ويكشف لنا عن أيديولوجيا الجسد ولاسيما الجسد المكشوف، وتحريم خياطة الثياب بسبب الأعراف والتقاليد الخاطئة التي ربما كانت تصب في مصلحة القائمين على الأمر آنذاك مع انتشار تجار الرقيق والعبيد في تلك البلاد بسبب كثرة النزاعات والحروب بين القبائل (فضل الله ، 2020، صفحة 36). ومنها كذلك ظاهرة وضع علامات على الجسم والوجه خاصة فضلا عن ممارسات أكثر قسوة منها ختان البنات ودق الشفايف، فقد ((اعتادوا على ممارستها لكثرة القبائل، وانتشارها في هذه المناطق، واختلاط العربية منها بغير العربية، واختلاط المسلمة بالوثنية، وتفشي وروج تجارة الرقيق، فهم يخافون أن يؤخذ أبنائهم وبناتهم في أسواق العبيد. ولذا فقد اتخذت كل قبيلة لأبنائها وشما ووسما يعرفون به، ويتميزون عن غيرهم، ومن هنا جاءت الشلوخ)) (فضل الله ، 2020، صفحة 112، 115). كما يذكر لنا (عبد السميع) نقلا عن الشيخ السمرقندي أسماء القبائل والمناطق والأشياء بشيء من التفصيل وحسب لغة القبائل حرصا منه على اكتشاف كل ما يخص هذه البلاد، إذ كانوا يفهمون اللغة العربية مع عدم إجادة القراءة والكتابة بها، كقوله: ((وجمع حوله كثيرا من الأجناس والقبائل، مثل الهمج والإنقسنا والكدالو والقمز، والأدك والكوما، والوطاويط والفولاني(الامبررو والفلاتا والهوسا)، مع الجافون والموري، والدوقا والبرتا، والبرون والبرنو، وبلدقو والجبلاوين، والحمدة والرقايق، والزبالعة والزبرطة والقباوين والسركم. لذلك تجد فيهم المسلمين مع الوثنيين... وتجد بينهم العرب كذلك ولهذا فقد اختلطت العادات والتقاليد)) (فضل الله ، 2020، صفحة 95) تتوضح هنا أيديولوجيا الكاتب وحرصه على التعريف بقبائل السودان وشعبه مع تأكيد التنوع السكاني فيه .

وفي أيديولوجيا الثقافة والمعرفة في رواية (تشرية المغربية) نجد شخصية الحاج (عبد الحميد اللقاني) الشخصية المسالمة المخلصة لأرض السودان، الذي يتمنى أن يسهم في ازدهارها في مجال الثقافة والعلوم آنذاك، ويساعد على انشاء المكتبات ولاسيما أنه كان مطلعاً على إدارة المكتبات في الأندلس. كما ساعد (عبد السميع) على تعلم القراءة والكتابة في اثناء رحلة الحج مما جعله شخصاً قادراً على تولي منصب كاتب السلطان، ومشاركته في تعليم حفيدته (صليحة) القراءة والكتابة، وغيرهم الكثيرون من أبناء السودان (فضل الله ، 2020 ، صفحة 49،40،19).

في رواية (رؤيا عائشة) نجد أحوال المجتمع قبل الثورة المهدية كان في ((زمن الترك ... كل شيء متاحا ومباحا، الخمر والنساء والغلمان. والأترك كانوا يعلمون لكتهم تغاضوا عن كل ذلك فلم يتدخلوا. الخرطوم سكنتها كثير من الأجناس فأباحوا لأنفسهم كل شيء، واستحلوا الحرمات... الخرطوم في ذلك الزمان مدينة مترفة، صاخبة ليلا وهادئة ساكنة نهارا... القصور ذات الجدران العالية منتشرة في كل مكان... وحدائقها تمور بالقصف والعصف، والمرح والتترف والمجون... ولم يكن الناس في القديم يعرفون مطاعم ومحلات بيع الطعام... بل إنه من العيب أن يباع، لكن المدن التي بناها الأترك هي التي علمت الناس في هذه البلاد بيع المأكول والمشروب بالثمن)) (فضل الله ، 2020 ، الصفحات 31-32) فضلا عن انتشار العبيد وتجارة الرقيق والغلمان ووقوع الظلم على الأهالي والتعسف بالضرائب. (فضل الله ، 2020 ، الصفحات 97-100) (حسين، 2013 ، صفحة 289).

أيديولوجيا الانتماء: نجد شخصية (صليحة) الفتاة الصغيرة في رواية (أنفاس صليحة) تحمل أيديولوجيا المرأة الصبور ذات العزيمة القوية والواقفة بنفسها وبقدرتها على تقرير مصيرها بإصرارها على ملاحقة جدها والمحافظة على صلتها به، التي تمثل صلة الحاضر بالماضي، فالجد يمثل الأصل وحقيقة الانتماء الى الأندلس ومن ثم المغرب. والمخلص لأرض السودان ورغبته بتحويل ملاذه الآمن الى صورة مماثلة عن بلده الأندلس المفقود ولاسيما بعد وصول الكثير من علماء الأندلس إلى هذه البلاد. وعلى الرغم من أنها تنتمي إلى القبائل الوافدة الى السودان إلا إنها تعلن تمسكها بهذه الأرض وحرصها الشديد عليها: ((نحن من أصول مغربية فقد علمت من جدي الحاج "لقاني" أنهم هاجروا إلى المغرب من الأندلس... وأن جدي توجه من هناك إلى ديار (شنتقيط) قبل أن تأتي الى هذه البلاد. فأنا من العشائر الوافدة إلى هنا عبر (تيمبكتو) وبلاد (كانم) و(دارفور) و(كردفان)... لكنني الآن لن أرضى بها بدلا. قضيت بقية صباي وشبابي بالرغم مني في (سوبا) قبل سقوطها، وقبل أن يدخلها)

القواسمة) في المرة الثانية)) (فضل الله ، 2020، صفحة 33،120) وفي رواية (تشيقة المغربي) نجد السودان من خلال منظور الآخر ابن المغرب والأندلس الذي يحمل ثقافة ووعيا مختلفا عن أبناء السودان. فهذه التشيقة تأتي على لسان (عبد السميع) الذي يفصح صراحة عن شخصيته ووجوده في بدء السرد، بقوله: ((أنا محدثك عبد السميع بن إبراهيم المغربي الأندلسي، كاتب حجج السلطان !!)) (فضل الله ، 2020، صفحة 12) ،ويصف حضوره في مجلس السلطان "عمارة دونقس" فهو الشاب المغربي المعتر بانتمائه الى أهل الاندلس المعروفين بإجادتهم للغة العربية وفنون القول فيها فضلاً عن معرفتهم لفقهِه والشريعة الإسلامية لذلك كان الملوك والحكام يرحبون بوجودهم ضمن حاشيتهم.

إن (عبد السميع بن ابراهيم المغربي) بتعريفه عن نفسه في رحاب السلطان يثير اهتمام القارئ وانتباهه لمتابعة السرد من اجل معرفة رحلته من المغرب إلى المشرق، فلا يخفى أثر مفهوم الرحلة في تنوع وثرء السرد بما تتضمنه من أحداث وأفكار ومفاهيم جديدة، تساعد في إثراء مدارك المتلقي فيشعره ويطمئنه برغبته وطواعيته ليخبره بكل جديد يعرفه عن هذا المشرق. وفي هذا نرى ما يشكل انعكاساً لأيدولوجيا الكاتب (عمر فضل الله) في تحقيق الأخبار والتعريف بكل ما يمت بصلة إلى أرض السودان من الحضارة والتاريخ والسكان والطبيعة وأعراف وتقاليده هذا المجتمع على اختلاف طبقاته، ويزيح ويكسر ما استقر في ذهن المتلقي من رتابة وجمود بشأن الخرافات والاساطير عن أفريقيا .

بعد عودة (عبد السميع) من أداء فريضة الحج قرر البقاء في أرض (بلاد النوبة والعنج) لما وجده فيها من جمال واتساع وخير كثير وترحاب أهلها به: ((قررت البقاء في بلاد النوبة والعنج، حيث الخير الوفير والمال الكثير، لأبدأ حياة جديدة بعيدة عن الأوبئة والحروب...سمعت الحكايات التي يقصها من جاء الى هذه البلاد، وأن من يذهب عبرها الى الحج، أو يشرب من أنهارها، لابد أن يعود فيستقر فيها، ويلقي عصا الترحال. فهي بلاد واسعة خضراء ممتدة، وأرضها منبسطة، تشقها الأنهار وتجري في أوديتها المياه، وينبت الزرع في أرضها...وتمتلئ باديتها بالصيد الوفير...أن النيل هو من أنهار الجنة، فلما علمت...قررت أن أجمع بين الحج والهجرة)) (فضل الله ، 2020، صفحة 18)وقد صرح (عبد السميع) بانتمائه وحرصه على أرض السودان وإثمه مهتم لأمر موطنه الثاني، ولولا تكليفه بمراقبة شخصية اليهودي(روبيني) ومسايرته حتى يعترف له بحقيقة أمره في مجيئه لهذه البلاد لصرح له بذلك((روبيني يستحق القتل عن جدارة، فهو جاسوس وخائن. كدت أن أسأله لماذا

فعل هذا، لكنني تراجعت في آخر لحظة، فمثل هذا السؤال يجعله متحفظا في الحديث معي...حدثني عن نواياه وما يريده من أهل هذه البلاد. كان واضحا أن الذي شجعه على الكلام معي هو أني مغربي، ولا أشبه الناس هنا في لون بشرتي وسحتتي، أو طريقة كلامي، فظن أنه لا يهمني ما يقوله عنها، وكان مخطئا. لكنني تركته يتكلم ويثرثر)) (فضل الله ، 2020، صفحة 78) وهنا نجد أن السودان قد شكّلت ملاذا آمنا وأرض نجاة للأندلسيين اللاجئين إليها فرارا من بطش الغزاة النصارى ووجدوا عند أهلها خير استقبال مع الأخذ بيدهم من أجل تحقيق حياة جديدة بعيدا عن المشاكل والمصاعب وكذلك للمغاربة الذين تركوا بلادهم آنذاك بسبب الأوبئة وثقل الضرائب والأنظمة عليهم .

الأيدولوجيا الدينية : تمثل شخصية الشيخ (عبدالله بن سعيد السمرقندي) في رواية (تشيقة المغربي)، الأيدولوجيا الدينية الإسلامية، التي توجهه للدفاع عن مملكة (سنّار) التي كان سلطانها (عمارة ود عدلان) مسلما ويدعي الانتساب الى البيت الاموي فضلا عن دوره في اسقاط مملكة (علوة) بالتعاون مع (عبد الله القرين) من قبيلة القواسمة . كما أنه كان يرحب بالعلماء والفقهاء والأشرف من البيت النبوي ولما حققه من ازدهار في أرجاء مملكته حتى صارت وجهة للكثير من الشخصيات والتجار والاعنياء وأصحاب الحرف، ولقفت الأنظار إليها وصارت مطمعا للآخرين. والسمرقندي يخبر (عبد السميع) بسر قدومه الى هذه البلاد البعيدة، فقد كان يرغب بإقامة دولة مسلمة وقوية لاحتضان أبناء السودان بعيدا عن الوثنية وحمايتها من المتآمرين عليها: ((لما علمت أن اليهود والنصارى قد اجتمعوا على بغض هذه الدولة الوليدة، التي اختارها الله لإحياء الدين، بعدما سقطت دولة المسلمين في بلاد الاندلس على ايدي النصارى، عرفت أنها دولة حق، وذلك لاجتماع اليهود والنصارى على بغضها. فأسرعت بالمجيء، أنا وابني محمود لننصرها وندافع عنها. ومنذ مجيئي وأنا أدرس أحوالها، وأعمل من أجل استقرارها، وأدعو الله أن يحفظها من الطامعين، ويعوض المسلمين بها خيرا مما ضاع منهم في بلاد الاندلس)) (فضل الله ، 2020، صفحة 94). ويثبت موقفه المدافع عن هذه المملكة عندما يكشف زيف ادعاء شخصية اليهودي (روبيني) المنتحل لشخصية (الشريف داود) في حضرة مجلس السلطان : ((أيها اليهودي الوقح؟ لا أعرفك؟ بلى، أنا أعرفك وأعرف أباك وأمك. وأعرف كذلك أنك رجل دعيّ. وأهل بيت النبي المطهر لا يتشرفون بك بينهم أيها الكذاب الاحمق. يا مولاي السلطان هذا الرجل مُدّع. وهو من يهود اليمن وأنا أعرفه جيدا)) (فضل الله ، 2020، صفحة 74). إنّ شخصية اليهودي(روبيني) تمثل ايدولوجيا مناهضة طامعة بخيرات مملكة (عمارة ود عدلان) وينتحل صفة الشريف بمعنى أن نسبه يرجع الى النبي محمد (عليه الصلاة والسلام)

ليقترب من السلطان بسرعة، فقام الشيخ (السمرقندي) بكشف حقيقته والتقليل من شأنه ووصفه بالجاسوس والكذاب حتى اضطر الى مغادرة المملكة بخيبة أمل كبيرة، وفي حديثه مع (عبد السميع) يكشف صراحة عن مخطئه بالاستيلاء على ثروات هذه البلاد وبأحقية اليهود فيها: ((حين كنت في اليمن كنت أحدث نفسي كثيرا قبل أن آتي لهذه البلاد. بلاد كوش التي ستكون هدية الله التي يقدمها لشعب إسرائيل. جنودها وملكها سيكونون ذبيحة لإسرائيل. سوف تأتي الى اورشليم مع بقية الأمم لتجتو خاضعة لرب الجنود. هكذا قال الرب. فوعد إشعيا لا يخيب ونبوءته لا تكذب)) (فضل الله ، 2020، صفحة 77)، فهو يهودي متشدد يتوق الى السيطرة على الشعوب واخضاعها وتجريدها من خيارات شعوبها لكنه يصدم بواقع قوة السلطان، الذي تركه يرحل بسلام من دون عقاب، حفاظا على سمعة السلطنة، فقد استقبله ضيفا في مملكته، ولا يستطيع خيانة حق الضيافة، فأمر بإخراجه من حدود المملكة بصحبة الجنود ومعهم (عبد السميع) الذي تفاجأ بشخصية (روبيني) وما فيها من العطب النفسي فقد كان حقودا وحسودا ومخادعا لا يهمله سوى تحقيق أحلامه وطموحاته .

ونجد الكاتب يخصص فصلا بعنوان (الأرباب) للتعريف بشخصية الشيخ الأرباب (ادريس ود محمد) لأهمية هذه الشخصية الدينية في التاريخ السوداني الحديث وتفاعلها مع المجتمع وتنوع معطياتها سياسيا واجتماعيا ودينيا، فقد تطرق الكاتب إلى سرد دوره التاريخي المعروف في ترسيم حدود سلطنة (عمارة ود عدلان) ومشيخة "عبدالله جماع" وتوحيد الممالك والمشيخات تحت زعامة ملك الفونج "عمارة " وكذلك جاء ذكر تميزه في الافتاء الديني بشأن حرمة الدخان وفي خضم اختلاف الآراء بين التحريم والاحلال كان موقف طلاب الشيخ (ادريس ود محمد) بتأييد فتوى شيخهم بحرمة التبغ والتبناك واتخذ موقفا حازما بشأن ذلك بخلاف شيخ الازهر (علي الاجهوري) فقيه المذهب المالكي -آنذاك- الذي ألف رسالة اسماها (غاية البيان بجلّ شرب ما لا يغيب العقل من الدخان) واجاز فيها شرب الدخان والمتاجرة فيه وعندما علم الشيخ (ادريس) بهذا الأمر أرسل الشيخ (حمد ود ابو عقرب) رفقة الشيخ (ابراهيم اللقاني) برسالة الى الشيخ (الاجهوري) متضمنة رأيه الصريح بحرمة تعاطي الدخان إلا ان الشيخ (الاجهوري) لم يستمع لهما وسخر منهما ومن الشيخ (إدريس) مما أغضب طلابه واصرّ الشيخ (حمد ابو عقرب) على إقامة الحجة على (الاجهوري) أمام الملاء في يوم الجمعة بعد الصلاة في الجامع الازهر، قائلا((يا شيخ علي. نحن أهل الدولة السنّارية جنناك برسالة من أحد ساداتنا الشيخ "ادريس" الولي الكامل، قطعنا الفيافي والصحارى لنصل إليك هنا في الأزهر في سبيل مصلحة المسلمين ونشر العلم النافع فلم نجد منك الاحترام، بل سخرت منا ومن شيخنا، ولم تستمع لنا ولم تسمع حجتنا بل لم تحترم شيخنا حين ألقيت رسالته على الارض وفي

هذا من التحقير والإهانة ما فيه.)) (فضل الله ، 2020، صفحة 168) وبعد الأخذ والجدال في اراء الفقهاء والاختلاف فيها بين التحريم والاحلال واساءة الشيخ (الاجهوري) أمام الملأ لهما تقدم الشيخ (حمد) قائلاً: ((نحن جادلناك بالحسنى وبالحجة فلم تقبلها وأسأت إلينا ولم تحترم وفادتنا إليك، بل أهنتنا بأن وليتنا ظهرك ولما ننصرف عنك وعن مجلسك، فلم يعد بيننا إلا المباهلة والله عز وجل يقول... وإني أسالك بالله أنه من أبصر الحق فلم يتبعه واتبع الباطل فليذهب بصره قبل حلول الجمعة القادمة آمين !!)) (فضل الله ، 2020، صفحة 173) وبعد هذه المباهلة بيومين أو ثلاثة تعرض الشيخ (الاجهوري) لحادثة فقد البصر على أثرها عندها تذكر مباهلة الشيخ (حمد ابو عقرب) وأرسل في طلبه ولم يجده، فكلف الشيخ (اللقاني) وأوصاه أن يعلن على الملأ بصحة فتوى الشيخ (إدريس بن محمد الأرباب السناري) واعتذاره. وأن تحمل هدية منه إلى الدولة السنارية، وتسلم إلى الشيخ (ادريس):((ومعها منحوتة نحاسية تحمل الاعتراف بعلم الشيخ إدريس)) (فضل الله ، 2020، صفحة 17) .

الأيدولوجيا السياسية :

في رواية(انفاس صليحة) نجد الجانب السياسي بأيدولوجيا المصالح الخاصة التي تحرك الجماعات من أجل السلطة والسيطرة وتحقيق الأرباح والكسب غير المشروع من خلال ممارسة تجارة الرقيق_ هذه التجارة البشعة التي كان ضحيتها الانسان الافريقي_ وحدث الصراع بين الجماعات المتخاصمة كما في مدينة (سوبا):((المدينة تشهد الآن تحولات كبيرة، فما يقوم به الملك من التمادي في تجارة الرقيق يخالف الاعراف والتقاليد. وسيكون وبالاً على (علوة) كلها...وبالفعل فقد وقعت الخلافات الاخيرة بينه وبين العرب القاطنين حول (سوبا) فعاقبهم بطرد جميع المقيمين منهم ..وأخذ نسائهم وبيعهن رقيقاً، مما ألب عليه القبائل العربية وأوغر صدور ابنائها. لكن الطامة الكبرى كانت هي بيع بعض سكان(سوبا) من عرب القواسمة عبيداً فهي التي أوغرت عليه (الصدر)) (فضل الله ، 2020، صفحة 133) لذلك بدأ العرب بالالتفاف حول(عبدالله القرين) الذي سعى الى اسقاط (سوبا) فقد كان: ((يحس بالغبن الكبير وهو يتولى جباية الإتاوات من القبائل العربية المنتشرة حول (سوبا) ليدفعها لخزينة (علوة) فهناك بضع وخمسون قبيلة من قبائل (جهينة) ...لكنها غير متحدة بل وتخضع لسلطان ملوك (علوة) وتدفع الإتاوات ...بينما يتولى" عبدالله القرين بنفسه جمع هذه الإتاوات، فهو المقدم على

العرب المسلمين يدفع خراجهم (للنوبة) المسيحية)) (فضل الله ، 2020، صفحة 138). ومن خلال شخصية الأميرة (دوانة) نعرف الكثير من الأحداث التاريخية السياسية حول مقتل زوجها الأمير (أوندي) ونزوح العرب المسلمين إلى داخل مملكة (علوة المسيحية) وانشأهم القرى الجديدة وعملهم في الزراعة والتجارة والحرف الأخرى، ومن ثم بدأوا يتقربون إلى الأمير (أوندي) الذي أدرك ضعف الكنيسة في (علوة) بعد أن تخلت عنها كنيسة (الإسكندرية) وكنيسة (أكسوم) وتنازل ملك علوة عن لقب النجاشي، واقبال الأهالي على الدين الإسلامي ومجارة الأمير (أوندي) لهذه التغييرات في (سوبا) مما ازعج رجال الكنيسة حتى تخلصوا منه، وقتلوه بتهمة الخيانة (فضل الله ، 2020، الصفحات 164-165) مما تسبب بسقوط مملكة (علوة) لصالح العرب الذين ((قسموا علوة بينهم فاتفقوا أن يكون النيل الأخضر إلى عبدالله القرين وحيدر وقومهم، وأطلقوا عليه البحر (الجهني) وجعلوا النيل من (كركوج) وأمامها هو بحر (الجليين) وجاء القرين بعرب (القواسمة) إلى (سوبا) واستوطنوا فيها وملكوها)) (فضل الله ، 2020، صفحة 169) وكذلك ذهب (عبدالله القرين) إلى الملك (عمارة دونقس) وتحالف معه واتفقا على انشاء دولة واحدة قوية تقوم على انقاض العاصمة (سوبا) وتعاهدا على أن يكون الملك لعمارة وقومه (الفونج)، بينما تكون جباية الأموال وقيادة الجيوش والخيول من نصيب (القواسمة)). (فضل الله ، 2020، صفحة 172)

نجد في رواية (رؤيا عائشة) ظهور شخصية مدعي المهدي (محمد أحمد المنتظر) في تاريخ السودان الحديث عام 1885-1881م مما يضعنا أمام جدلية الدين والتاريخ والسياسة. إن الأيديولوجيا في رواية (رؤيا عائشة) تبرز من خلال شخصية (المهدي) التي تملك حضوراً أيديولوجياً في الفكر الإسلامي فضلاً عن الفكر الإنساني، فهي شخصية منقذ البشرية من الظلم والباطل والشر، ومحقق العدالة ونصرة المظلوم والاقتصاص من الظالمين ومنتهمكي حقوق الآخرين. وأمل الناس بظهور (المنتظر) بينهم يشد كلما كانت وطأة الحرمان والعوز والظلم شديدة عليهم مما يجعلهم يتشبثون بالثوار من أبنائهم ويلتقون حولهم مشكلين قوة ضاربة ساعية من أجل العدل على الرغم من إن القتل والتعذيب مصير أغلبهم. (الكاتب، 2007، صفحة 106).

وفي سياق النص الروائي نجد حكاية هذا الحدث التاريخي الكبير من خلال رؤيا (عائشة) زوجة المدعي (محمد أحمد) وروايتها لأحداث ثورته المهديّة وآخر أيام حياته، بقولها: ((كان كثيراً ما يقول لي يا عائشة أخبرني سيد الوجود (ص) بأني المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مرارا بحضوره الخلفاء

الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام وأيدني الله تعالى بالملائكة المقربين وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم (إلى زماننا هذا)) (فضل الله ، 2020، صفحة 70) (حنان، 2013، صفحة 41) .

إنّ ارتباط شخصية المدعي (محمد احمد المنتظر) بالدين الإسلامي، وسيطرة أيديولوجيا الدين والمعتقد على أذهان الناس، مما هيا له أرضية قوية لتجمّع الناس حوله من الدراويش والصالحين والثوار والكادحين والمنتفعين والطامعين والوصوليين وتحولها إلى المعتكك السياسي، والسعي وراء السلطة وإخضاع القبائل والمعارضين له بالقوة والقتل حتى أصبح صدق هذه الدعوة في نفوس أصحابها على المحك، الذي سرعان ما ينكشف في خضم الأحداث وغالبا ما يكون في المرحلة الثانية من الثورات، إذ تكشف عن حقيقة رجالها المخلصين من الطامعين والمدّعين. جاء ادعاء شخصية (محمد أحمد المنتظر) بشرف النسب إلى البيت النبوي المحمدي(ص) من أجل تحقيق طموحه في الثورة ضد الظلم إبان الحكم المصري والتركي والبريطاني للسودان، فقد قامت الثورة المهديّة عام 1884م في أعقاب الثورة العربية في مصر، وكذلك هي حاصل التطور التاريخي والتراكم الكمي لعدد من الانتفاضات والثورات، التي كانت مستمرة ضد الحكم القائم آنذاك حتى جاءت الحركة المهديّة كثورة شاملة ضد النظام ومنها: مقاومة الشايقية للأتراك، وثورة أهل سنّار بقيادة رجب ود عدلان، وثورة الملك نمر، وثورة أهالي التاكا(الشرق) 1844 وثورة الجنود السودانيين وثورة الجهادية السود في كسلا 1865، وثورة هارون الرشيد في دارفور وغيرها (عثمان، 2008). مما يعني توفر الشعور العام بالظلم والطغيان والاضطهاد وفرض الضرائب الباهظة ومصادرة الأملاك، واحتكار تجارة العاج لصالح الحكومة البريطانية، ومنع تجارة الرقيق البشعة الذي أدى إلى خسارة النحاسيين وتجار البشر لبضاعتهم ومكاسبهم، التي يعدونها من مقومات حياتهم، فدفع بهم إلى مساندة ومؤازرة الثورة المهديّة (حسين، 2013، الصفحات 216-217) .

وتعد الشائعات من أهم أدوات تحقيق برنامج الأيديولوجيا ولاسيما أن ((الدعاية ...الأداة الرئيسة وذات الدور الفعال لحمل الأفراد على الاقتناع بالمفاهيم والأفكار التي تتطوي عليها الأيديولوجيا علاوة على التحفيز على الحركة)) (الانصاري، 2000، صفحة 22)، لذلك قام أصحابه بنشر الشائعات التي تضي عليه القداسة والايمن منها قولهم: ((يوجد شيخ كان مختفيا في السرداب سبعمائة وخمسين سنة والآن ظهر هنا في الجزيرة والناس يقولون هو المهدي المنتظر ... وتحمس البعض الآخر من الركاب فأخبروهم بكرامات هذا المهدي وقالوا إن أربعين رجلاً شربوا من إناء لبن صغير أعطاهم إياه ولم ينفد اللبن من الإناء بل بقي منه شيء...وأن اسم المهدي

قد وجد مكتوباً على بيض الطيور وورق الأشجار في تلك الأنحاء)) (فضل الله ، 2020، الصفحات 38-39) و سرعان ما انتشرت هذه الإشاعات بين الناس بفعل أعوانه، حتى صدقوهم وانضم إليه الكثير من الرجال و توافدوا عليه من المغرب والجزائر واليمن، وكثيراً ما حاولوا إقناعه بكونه المهدي المنتظر: ((لكنه لم يقل بها إلا حينما رأى الناس لا ينادونه إلا بها، وإن جميع من تبعه أجمعوا أنه هو المهدي وأنه المنتظر، وتوافقوا عليه، فصدق ذلك وأشربها في قلبه ثم لم يقبل غيره)) (فضل الله ، 2020، صفحة 26) و (حسين، 2013، صفحة 270) ،وهنا يظهر الجانب النفسي الأيديولوجي في شخصية المهدي فقد وجد صدى ما يؤمن به في قرارة نفسه لدى الناس واصرارهم عليه، ولاسيما من خلال شخصية (عبدالله التعايشي) الذي أخذ يقنع (محمد احمد) بانطباق صفات المهدي(ع) عليه بالتصريح والتلميح حتى ((قال التعايشي : دليلي هو امتناعك عن قبول البيعة مثلما فعلت الآن وهروبك منها فالمهدي لا يعلم أنه هو المهدي في أول أمره وهذه علامة)) (فضل الله ، 2020، صفحة 27) وبعد اقتناع المدعي المتمهدي - كما أطلق عليه معارضوه - بما رآه أصحابه فيه من علامات الولاية والإيمان وبأنه مهدي زمانه ،أخذ يأمرهم، وينهاهم ويطيعونه في الثورة على الظالمين وجمع جيشه من الأنصار والمؤيدين له ثم بدأ بإرسال الدعوات إلى شيوخ القبائل والقرى للانضمام إلى جيشه والتصديق بمهديته والانصياع لأوامره بتنفيذ ما يراه من خير الإسلام والمسلمين وفي حال رفض الانضمام إليه يقوم أنصاره بتدمير القرى وقتل المعارضين له، الذين اتهمهم بالكفر والخروج عن الدين الإسلامي فقد جاء قوله : ((أنا منعتهم الحج وعطلت الفريضة؟ ... قلت لهم لا تذهبوا إلى الحج ولا إلى الحرمين فالجهاد أشد لزوماً من الحج والزيارة)) (فضل الله ، 2020، صفحة 66)، وكذلك قام بإغلاق المساجد والجوامع واكتفى بإقامة جامع واحد: ((أمرت بهدم أكثرها ومنعت إقامة صلاة الجمعة إلا في المسجد الجامع ، ومنعت إنشاء جوامع جديدة إلا بأمرى، وشددت في المحافظة على الصلوات الخمس جماعة ومن لا يشهدا عاقبته وجلدته)) (فضل الله ، 2020، صفحة 67)، وحرّم مظاهر الاحتفالات بالأعراس ومنع الرقص والغناء، وضرب الدلوكة والموسيقى وتكون عقوبة المخالفين الجلد ومصادرة الأموال.

وحاصر انصار المدعي المتمهدي مدينة الخرطوم في عام 1884 حتى سقطت في شهر يناير الموافق 26 من عام 1885 بأيديهم، ولم يعملوا بأوامر المتمهدي، وقتلوا الشيوخ المعارضين له بأبشع الصور، واعتدوا على نساءهم وبناتهم وجمعوا النساء في حظيرة الحيوانات (الزربية) وكّن الغنائم لجيش المتمهدي، ولا سيما بعد أن قتلوا الحاكم (غوردون) البريطاني و((بعض الأنصار كانوا يقتلون الاسرى بالرغم من أوامر المهدي ولقد أخرج أهل الخرطوم من منازلهم ووضعوا في العراء في منطقة جنوب الخرطوم وقضوا ما يقارب الشهر في العراء وهذا في شهر يناير

الذي يشدد فيه البرد)) (فضل الله ، 2020، صفحة 170)، أن بعض انصار المتمهدي كانوا من الطامعين والمنتمين وشذاذ الطرق الذين رأوا في فكرة المتمهدي ما يحقق طموحهم في السلطة وتسلق المجتمع وتحقيق رغباتهم الشخصية، فمثلاً الخليفة (عبدالله التعايشي) كان يأمر بخلاف أوامر المتمهدي فيقول : ((ابدؤا بالشيوخ المنافقين ولا تأخذكم بهم رحمة اليوم يوم الملحمة... وإذا لقيتم الخواجة الكافر غوردون فاقتلوه)) (فضل الله ، 2020، صفحة 164) و (حسين، 2013، صفحة 282) ، وكذلك فعل المدعي (ود نوباوي) الذي قتل (غوردون) ثم قتل الشيخ (شاكر) مفتي الديار السودانية انتقاماً لأنه أفتى ضده قبل عشرين عاماً في قضية نهب بهائم (فضل الله ، 2020، صفحة 169)، ومما يقال في زيف ادعاء المتمهدي لأيديولوجيته السياسية الدينية، يتضح كذلك في أهداف الثورة المهديّة بشأن إباحتها وإجازتها تجارة الرقيق في الوقت نفسه كان الحاكم البريطاني (غوردون) معروفاً عنه محاربه لهذه التجارة، وله مساعٍ كثيرة مع الحكومة المصرية من أجل القضاء على هذه التجارة الممنوعة دولياً والمحرمة أخلاقياً فضلاً عن جهود الكثير من الدول _آنذاك_ للقضاء على هذه الآفة المجتمعية. (حسين، 2013، صفحة 213)

وحدث مرض المهدي يوم الأربعاء 4 رمضان سنة 1302هـ بسبب حمى تعرف بالسودان بـ(باب دم) ويطلق عليها الأطباء (الالتهاب السحائي الشوكي) واستمرت لأيام حتى وفاته، وأشيع بأنه مات مسموماً في الطعام (فضل الله ، 2020، صفحة 171) وحدثت وفاة المتمهدي في يوم الاثنين 9 رمضان سنة 1302 الموافق 22 يونية سنة 1885م بعدها بايع أهل السودان الخليفة (عبدالله التعايشي) وأذاع منشوراً بأن المهدي قد مات. وكانت سياسة (التعايشي) المحافظة على شعائر المهديّة وجعل أخاه (يعقوب) وزيره وقائد جيشه ومدبر إشغاله ، وولى أقاربه التعايشة كبار المناصب بعد أن عزل أقارب المتمهدي وأبعدهم عن الحكم حتى قتل أغلبهم (حسين، 2013، صفحة 293).

الراوي في روايات عمر فضل الله

إنّ الراوي في العمل الروائي، هو مخرج النص والوسيط الذي من خلاله نطلع على تفاصيل الحكى، لأننا نحن القراء (المتلقي) نرى ونسمع ونشعر بالعالم التخيلي من خلال حواس الراوي وكلما زادت مقدرته على التوغل في هذا العالم التخيلي أصبح بإمكان المروي له الاطلاع على تفاصيل وأحداث أكثر تشويقاً في هذا العالم التخيلي، وإذا حدث العكس كان هذا العالم التخيلي فقيراً بسبب محدودية قدرة الراوي على كشف عالم الشخصيات والأحداث

والزمان والمكان في هذا البناء الفني . وقد أشار الناقد الشكلي (توماشفسكي) إلى أن نوع الراوي يحدد تبعا لأسلوب السرد الذي يقدمه في العالم الروائي التخيلي ، إذ يميز بين نوعين رئيسيين : السرد الموضوعي والسرد الذاتي ((ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مطلعاً على كل شيء، حتى الأفكار السرية للأبطال. أما في نظام السرد الذاتي، فإننا نتتبع الحكي من خلال عيني الراوي أو طرف مستمع متوفرين على تفسير لكل خبر: متى وكيف عرفه الراوي او المستمع نفسه)) (الخطيب، 1982، صفحة 189) وفي روايات الروائي (عمر فضل الله (: (أنفاس صليحة) و(رؤيا عائشة) و (تشريفة المغربي) نجد الراوي المتكلم الذي ينوع القص ويرفده بالحياة والحيوية من خلال الشخصيات المتنوعة التي نقف عندها ونسمع منها ما يرتئيه الراوي. ولا يخفى أثر الراوي المتكلم في خلق ايديولوجيا واحدة تحكم العمل الروائي على الرغم من سعي الراوي الى عرض عدة ايديولوجيات في العمل لكن الغلبة تبقى للصوت الذي يتبناه الروائي، المتواري خلف الشخصيات ولاسيما خلف الشخصية التي يخولها تولي الحكي كما أن العمل الفني الروائي كله من إبداعه وأفكاره وموهبته في تحويل القيم والمجردات إلى عالم مجسد ينبض بالحياة من خلال كلماته وسطوره .

جاء السرد في رواية (انفاس صليحة) من خلال الراوي المتكلم الذي يروي حكاية جدته (صليحة) بعد أن تعرف عليها من خلال الأب، بقوله : ((كنت أنت يا جدي لا تسمعين سوى غمغمات الرجال تصدر من أفواههم وصيحات النصر تصل الى سمعك مختلطة بأصوات المعاول وهدير انهيار الجدران حين يتصاعد عنها الغبار الأسحم قبل شروق الشمس ذلك الصباح المهييب)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 8)، وفي الفصل الثاني الذي جاء بعنوان (أنفاس صليحة) نتعرف على حكاية الراوي المتكلم الذي يحدثنا عن تفاصيل معرفته لحكاية الجدة وأصول الاهالي ساكني (بُطانة) ، بعد أن يصف أجواء الربيع الذي يغيّر الصحراء فيكسوها بساطاً أخضراً يعبق بروائح الأرض الطيبة، فيقول: ((لقد حدثني جدي أن سكان هذه الأرض نزحوا اليها من بلاد بعيدة في (الاندلس) و(المغرب) وأرض (شنقيط) ، لكن مناخها ناسب مناخهم من حيث أتوا فاستقروا هنا)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 21) وبعدها يستطرد في ذكر الأقوام الساكنة إلى جوار النيل من(النوبة) و(المحس) و(العنج) و(الهمج) حتى يخبرنا أن (البطانة) : ((هي مرتعي في الصبا . وقد لفت نظري فيها يوماً مقبرة صغيرة فوق تلة رملية قليلة الارتفاع، أحاطتها بعض شجيرات قصيرة ... وفي وسطها قبران مجهولان. ما كنتُ أعلم من الذي يرقد في جوفيهما... وقد نسيهما الناس منذ زمن طويل فقد مضت على وفاتهما الدهور والأعوام. يمزّ الناس بهما ولا يعرفون اسما لصاحبيهما ... لم أكن أعلم أن هذه الراقدة تحت الأرض والمسجاة بالتراب في ذلك القبر الغربي هي

جدتي الكبرى وأن الذي يرقد بجوارها في ذلك القبر الشرقي هو جدنا الأكبر. ولم أكن أعلم أنني سأكون في يوم من الأيام سببا ليذكرهما الناس ويعادون العثور على قبriهما وزيارتهم)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 26،23).

الراوي المتكلم يشعر أن القمر من أخبره بحكاية المقبرة وساكنيها من خلال رؤيا المنام، هذه الإشارة التي أنته من عالم الأجداد ليلتفت اليهم الأبناء ويحيوا ذكرهم، كما أفادت ثيمة الحلم في انفتاح السرد واضفاء الشاعرية والألفة التي تتوافق مع صوت الراوي المتكلم، فقال الراوي: ((على كل حال فالقمر تأخر كثيرا قبل أن يخبرني لعله بقي صابرا أكثر من أربعمئة عام. ثم نفذ صبره في يوم من الايام فقرر أن يقوم بمغامرته. وحسنا فعل. فقد رأيت في النوم أن القمر قد وقع هناك في البادية الشرقية عند شجرة السمر العجوز، وغاص تحت الارض ولم يخرج منها. ثم تبعته نجمة مضيئة جاءت على إثره، ودخلت معه فتدثرت بالتراب. رأيت هذا الحلم مرتين. ورويته لأبي فابتسم، ولم يعبره لي. ثم نسيت الأمر، لكني بعد ثلاثة أيام رأيت القمر وذلك النجم في الحلم يسيران جنبا الى جنب من بيتنا في القرية، فيخرجان إلى البادية الشرقية، ويرقدان بجوار شجرة السمر. وحين حكيت ذلك الحلم لأبي عبّر لي، لكن بعد صمت، حتى كدت أنسى ما كنت قلته لأبي)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 27) بعدها يتحدث والد الراوي المتكلم ويفسر لنا حلم الراوي المتكلم ويخبره: ((الله...يا ولدي. ليس عندنا في البادية غير جدتك وجدك الأكبر، وهما قد جاءا من بلاد المغرب منذ زمان وتوفيا من سنين طويلة، فهما مدفونان هناك. وقد اختارا حياة البادية، فعاشا فيها ودفنا فيها. لكن قصتهما أعجب من الخيال...لكن الذي أنا متأكد منه أن حكاية صليحة هذه قد حدثت بالفعل، والتاريخ يؤكدها ويحكي تفاصيلها، فهي قد تواترت مع كثير من الأحداث التي دونت في زمانها، وقد سجلها جدنا عندما دون تاريخ هجرة المغاربة إلى هذه المنطقة، وسجل شجرة أنسابهم فذكرها في سجل الأنساب، وحكى قصتها حين دون هجرة الأجداد من (فاس) إلى هذه البلاد)) (فضل الله ، 2020 ، الصفحات 27-28) ،وهنا نجد صوت والد الراوي المتكلم الذي يخبره بحكاية الجدة (صليحة) ويتحول عندها من راوٍ إلى مروى له: ((فقد حكاها لي جدي رواية عن جده الذي كان صبيا في عهد جدتنا (صليحة) الكبرى، التي ترقد هي وجدنا الأكبر الحاج عبد الحميد اللقاني في هذين القبرين)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 27)، هنا يغرق السرد في استرجاع الماضي من خلال التناوب في سرد أحداثه والتنويع ما بين الراوي المتكلم وأبيه وتغيير نبرة الصوت السردية ويستمر صوت الأب يخبرنا بحكاية (صليحة الكبرى) وخصوصية هذه الحكاية التي يحرص الآباء على روايتها للأبناء بعيدا عن التهويل والتخييل الذي امتزج بحكاية صليحة الكبرى ((قال لي أبي يا ولدي

إن كنت ضعيف القلب، أو كثير الشك، أو لست مستعداً أن تتخلى عن واقعك المعتاد فلن أحكي لك حكاية صليحة، لأنها أبعد ما تكون عن الواقع. ولهذا فإن اجدادنا لا يقصونها للناس، وإنما يتداولونها بينهم في مجالسهم الخاصة. ولا أخفي شيئاً إن قلت إن كلام أبي كان هو الحافز لي لسماع الحكاية التي حدثت منذ زمان قديم، فهي تحكي عن تاريخ قد حدث منذ عام 1500 للميلاد، فقد شوقني تحذير أبي لمعرفة تفاصيلها، وما كان يجري في ذلك الزمان القديم)) (فضل الله ، 2020، صفحة 29) فقد أخبره الأب ((انّ جدهم الراوي الذي حدثت له القصة مع جدته صليحة قال إنه قد اختلط الواقع عنده بالخيال، وامتزج الحلم باليقظة منذ أن جلس مع جدته صليحة في ذلك اليوم الغريب. فمن بعده ما عاد يفرق بين الخيال والواقع، إلا حين يزورها في بيتها، فيتأكد أنها موجودة على الحقيقة وليس على الخيال، وأنها ماثلة أمامه يراها وتكلمه)) (فضل الله ، 2020، صفحة 29) لأنها أخبرته عن شغفها بتآلف الأرواح وتساميها. فقد كانت تعشق زوجها (عبد السميع) وتحبه كثيراً واتحدت روحها بروحه، وكانا يقضيان وقتها بالعودة الى الماضي. فزوجها يقصّ عليها ما يشاهده من حياتها الماضية، وهي تستمع اليه بشغف، وكذلك ابنها من بعد أبيه فقد تعلم منها اتحاد الأرواح المحبّة مع بعضهما: ((جدك رجع معي للماضي عبر أنفاسي، وشاهد قصة حياتي في أرض الأجداد، منذ أن كنت صغيرة حتى تزوجته. كان يعود معي بروحه للماضي حيث يتوحد دفق أنفاسي مع نفث أنفاسه فنصير روحاً واحدة، ترى بعين الروح في الماضي ما يراه الناس بعين الحقيقة في الحاضر، فيحكي لي ما يشاهده، يحيكه بتفاصيله... ثم بعد أن مات جدك وكبر ابوك، أصبح أبوك يقص عليّ الحكاية كلها كما كان جدك يقصها، فتعلم أبوك مني كيف يعود معي الى الماضي بأرواحنا، ثم يحكي لي ما يراه كل ليلة قبل النوم)) (فضل الله ، 2020، الصفحات 33-34)، فالجدة (صليحة الكبرى) قد رأت ماضي حياتها من خلال الزوج والابن واليوم هي تطلب من الحفيد - الجد الراوي صاحب الحكاية - أن يشاركها ماضيها حتى يعرف تاريخ الأجداد وتحملّه مسؤولية اخبار الأبناء بحكايتهم وانتمائهم لهذه الأرض التي احتضنتهم بعد ضياع بلادهم الأندلس: ((تعدني أنك ستحكيها لي حين أكون على فراش الموت وتحكيها لأولادك وأحفادك من بعدي)) (فضل الله ، 2020، صفحة 36)، وبالفعل تتحد روحهما وتستمع الى حكايتها من منظور الحفيد(الجد الراوي) الذي أخذ يقصّ عليها ما تعرفه من ماضيها وما لا تعرفه وحدثت في غفلة منها أو حدث بعيداً عنها، وتراه من خلال عينيه وتسمعه لأول مرة، فلم تدركه في ماضيها ولم تعشه، لكنها ترغب في معرفته، وما لا ترغب به الجدة لا يتطرق اليه الحفيد الراوي. فالحكاية حكايتها وهي التي تقرر ما يحكى منها أو يسكت عنه. وكثيراً ما يخاطب الحفيد الراوي جدته بعبارات مثل : (تعلمين ، تذكرين، أخبروك، ترين، تعرفين، افضت اليك).

ومن المفارقة أن تكون هي صاحبة الحكاية، وتأخذ دور المروي له، ويكون الراوي، الحفيد وهو المروي له حقيقة. أن تبادل الأدوار اضفى على السرد هالة عجائبية من خلال تلاحم الأرواح ما بين الحفيد والجدة. فأنفاس الحفيد انصهرت بأنفاس الجدّة (صليحة)، فهو يخبرها عما كانت تواجهه في حياتها الصعبة الماضية، وما مرّت به من أحزان وأحداث في مدينة (سوبا) التي غزتها الجيوش، وأرعبت أهلها من النساء والأطفال والشيوخ حتى الرجال آثروا الفرار على الصمود والقتال: ((تعلمين يا جدي أنهم دفنوها تحت التراب ثم ساروا مع النيل...بعد أن تأكّدوا أنه لم يعد في تلك المنطقة جيش اسمه جيش الكنيسة ولا مدينة اسمها (سوبا)...الدولة العجوز التي أوهنتها المؤامرات الداخلية...وأكلتها الحروب سقطت في يوم أو بعض يوم بعد أن ازدهرت حضارتها مئات السنين)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 9)، وفي هذه الحرب الدائرة يرى جدته ((جدي. هل تذكرين؟ هناك كنت واقفة تنظرين. لم تهربي مع الهاربين، فقد اعتدت رؤية الدماء والقتلى. لا شيء يخيفك ولا حرب ترعبك. لقد رأيت من الاهوال ما يكفي لأن يشيب له شعرك الأسود الجميل)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 11) .

فهذا الراوي المتكلم (الحفيد الراوي) يملك حرية واسعة ويتولى مهام الحكيم يتمكن ومقدرة نيابة عن جدته فهو يدرك كل ما تعرف من حكايات واسرار وخبرات في الحياة وحتى يدرك ما لا تعرفه بشرط موافقتها على الحكيم، بقولها: ((أرغبُ أن تحكي لي هذه المرة عن (سوبا) وأهلها وحياتي فيها، بل وحيات الناس كلهم في (سوبا) وما حولها. لا أريد أن أعرف المزيد عن الرحلة من (تيمبكتو) فقد أنهكتني السير وأضناني السفر، وأصبحت أرغب في نسيان ما شهدته فهو ليس مسليا أبدا. وبدلا منه أريدك أن تحكي لي عما جرى في تلك المدينة الغريبة المليئة بالمفاجآت والفواجع)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 124). وهكذا يتوسع السرد ويفيض باستطراد حتى يتجاوز الحياة الشخصية إلى الحياة العامة لأبناء السودان ومن خلال حكاية الجدّة نغوص بتاريخ الكثير من المدن (سوبا (علوة) و(الأندلس) و(المغرب) ولاسيما تاريخ مدينة (سوبا): ((جدي ..لقد اخبرك من قصّ عليك حكايات سوبا قبل مجيئك إلى هذه الأرض ، أنه عند الخراب الأول جاء حُميدان بجيوشه من الغرب ومعه أمراء قحطان...أخبروك أن القادمين في تلك المرة الاولى احترموا الكنائس)) و الراوي المتكلم يرى جدته في خضم هذا التاريخ ((هناك كنتِ تقفين يا جدي. ترين ملكا عظيما قد توارى. رأيتِ وشهدتِ كل شيء. لقد أضحت سوبا خالية او كالخالية قبل أن يدخلها هؤلاء الغزاة)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 10) وهنا نتذكر مطلع ملحمة كلكاش (هو الذي رأى كل شيء) ، إذ يبالغ الحفيد الراوي في تضخيم صورة الجدّة، كأنها العظيمة التي رأت انهيار ملكا عظيما. ومن ثم يُلخّص حياة جدته برؤية مكثفة بقوله: ((أيتها الغريبة الوحيدة القادمة من بلاد المغرب، التي أُلقت

بها الأيام وسط الحروب والأهوال وقذفت بها الرواحل إلى هذه البلاد على مشارف أرض (البطانة) الشرقية لتقف على نهاية دولة (علوة) وخاتمة أيامها)) (فضل الله ، 2020، صفحة 12). والجدة هي الوحيدة التي تعرف سر الشخصية (دوانة)، هذه الاميرة التي لها دور كبير في اسقاط مملكة (علوة) فقد كانت إحدى أميرات البلاط الملكي في (علوة) وزوجة الأمير وولي العهد (اوندي) الذي اغتيل على يد النبلاء حسدا وحقدا عليه واتهموه بالخيانة، لكن الاميرة (دوانة) وابنتها، نجت من هذه المجزرة واختفت في منطقة نائية حتى جاءت فرصة الانتقام من نبلاء (علوة) بمساعدة (عبدالله القرين): ((دوانة اختفت عن الأعين. ومثلما ظهرت للناس فجأة ذهبت فجأة. لا أحد يدري من أين جاءت ولا إلى أين ذهبت. لكنك دون غيرك تعرفين حكايتها الحقيقية، فقد أفضت إليك في يوم من الأيام بمكنونات فؤادها المكلوم، وقصت عليك مأساتها التي تقطع نياط القلوب. لقد أفضت إليك يومها بسرّها الذي حملته في صدرها على مدار الأعوام وكّر السنين)) (فضل الله ، 2020، صفحة 16) وفي فصل (ذكريات الأرض الأخيرة) نجد صوت الجدة (صليحة الكبرى) يظهر على مدار صفحتين يخبر الحفيد الراوي عن أحداث دخول جيش (القواسمة) الى (سوبا) وقتلهم لجنود الكنيسة وهدمهم للمباني والبيوت والكنائس: ((كانت سوبا بمثابة محرقة ضخمة...فكرتُ في الاحتماء بقصر الملك لكن تبين... بدأ به الفاتحون فهدموه ولما غادروه ليهدموا بقية المباني ذهبتُ فصعدتُ فوق حطامه ووقفْتُ على أطلاله وكنتُ أراقب ما يحدث في بقية أنحاء سوبا)) (فضل الله ، 2020، صفحة 212) فيما يعلّق الحفيد معجبا بشجاعة الجدة على مواجهة هذه الأحداث لوحدها حتى توقفه و تطلب منه مواصلة الحكى بدلا عنها بقولها: ((ما بك يا ولدي؟ هل سأحكي لك الحكاية كلها؟ أنت من سيحكي لي. هيا تعال لنكمل سويا أنا وأنت. وأنت من سيقص بقية الحكاية)) (فضل الله ، 2020، صفحة 214)، ومن ثم تخبره أنها اكتفت من حكايات (سوبا) وشوقها الى سماع حكاية جدها، ولقائها به بعد عودته من رحلة الحج والبحث عنها: ((لقد اكتفيت من حكايات سوبا فحدثني عن جدي. اشتقت الى سماع اخباره. احك لي عنه!)) (فضل الله ، 2020، صفحة 215) وهكذا تتواصل انفاس (صليحة الكبرى) ويتجدد ظهورها في ابناء عائلتها الذين يحرصون على تذكر الأجداد بكل احترام وتقدير لسيرة عطرة تركوها لهم.

يأتي السرد في رواية (أنفاس صليحة) من خلال راويين، يوظفان ضمير المتكلم، هما:

1- الراوي المستمع : وهو الحفيد الثاني الذي يروي لنا الحكى ويعيده ويقدمه بعد سماعه من والده لحكاية

الجدة (صليحة الكبرى) ،التي تناقلها الاجداد والأبناء وحافظوا على ذكراها بينهم.

2- الراوي المصاحب: وهو الحفيد (جد الراوي) الذي كان مشاركاً في حكاية الأحداث دون أن يكون طرفاً فيها ، فهو يروي الحكاية بصوت مسموع لصاحبة الحكاية الجدة (صليحة الكبرى)، إذ يشاركها الوعي والوجدان ويقص عليها ماضي حياتها وما عاصرتة من أحداث تاريخية، برؤية مصاحبة لوعي الجدة، التي تحدد ما يقال، وما يسكت عنه في حكايتها. وهذا الراوي كان حضوره وظهوره في الرواية أكبر من ظهور الراوي المستمع، الذي يطالعنا في بدء السرد مخاطباً المروي له (المتلقي الخارجي) وينعته (بصديقي) فيقول: ((يا صديقي، لم أكن أعلم قبلها من هما هذان الراقدان اللذان ضمهما القبر، وأغلق عليهما إلى الأبد. لكنني قد علمت. اليوم انجلت لي حكايتهما فدعني أحدثك)) (فضل الله ، 2020، صفحة 25) ومن ثم يؤكد للمتلقي بأنه سيتولى السرد بعد معرفته لحكاية الجدة : ((حكاية صليحة هذه قد حدثت بالفعل...وقد سجلها جدنا عندما دون تاريخ هجرة المغاربة إلى هذه المنطقة...ثم قص حكايتها التي سأرويها لك، فقد أخبرني بها أبي عن أبيه عن جده)) (فضل الله ، 2020، صفحة 28).

وجاءت أيديولوجيا الراوي المستمع متوافقة مع أيديولوجيا الراوي المصاحب وامتداداً لها. فهو حريص على نقل سيرة الأجداد والتاريخ والانتماء إلى الآخرين من أبناء قومه وغيرهم. وهذا يتمثل في تعليقه على رؤيا حلمه عندما شعر أن القمر قد أثار السؤال عن الأجداد، بقوله: ((على كل حال فالقمر تأخر كثيراً قبل أن يخبرني. لعله بقي صابراً أكثر من أربعمئة عام. ثم نفذ صبره في يوم من الأيام فقرر أن يقوم بمغامرته. وحسنا فعل)) (فضل الله ، 2020، صفحة 27)، فهو يشكر القمر من أعماقه ويستحسن فعله لمواصلة حضور الأجداد مع الأبناء حتى يكونوا دعامة قوية تسندهم في الحياة وتعمق جذورهم وانتماءهم إلى الأرض بشكل عام وإلى أرض السودان بشكل خاص .

ويستمر في سرد حكاية صليحة عدة فصول (قال لي أبي : اعتدت أن ازور صليحة -جدتي لأبي- لأقضي معها بعض الوقت جعلت هذا جزءاً من واجباتي كل اسبوع رغم أشغالي الكثيرة)) حتى نفاجاً بصوت الجدة وهي تخبرنا القليل من حكايتها: ((ألم نتفق أنك من سيخبرني عن كل هذا؟ وعلى كل فسوف أخبرك هذه المرة فقط. لقد كنت حينها صبية مندفعة ومتطلعة للحياة. ورغم أنني جئت وحيدة أسعى وراء جدي إلا أن ما وجدته ورأيتة في هذه المدينة شغلني عن كل شيء. ولا أكتمك انني وجدت في (أونتي) صديقة العمر...وأنا الآن متشوقة لتريني ماذا فعلت. بالله عليك لماذا أفقت في هذه اللحظات؟ تعال هنا وأغمض عينيك وادخل في روحي وامترج بأنفاسي

ثم أكمل. وأطربني برؤيتها وهي تتلون وتتلى مثل أفعى تلتف حول رقبة الضحايا. يا لهذه المرأة العجيبة ((فضل الله ، 2020، الصفحات 29، 174-175)

وفي رواية (تشريفة المغربي) نجد الراوي المتكلم يفصح صراحة عن شخصيته ووجوده في بدء السرد بقوله: ((أنا محدثك عبد السميع بن إبراهيم المغربي الاندلسي، كاتب حجج السلطان!)) (فضل الله ، 2020، صفحة 12) ويصف حضوره في مجلس السلطان (عمارة دونقس) فهو الشاب المغربي المعترز بانتمائه الى بلاد المغرب وأصوله الأندلسية، وأهل هذه البلاد معروفون بإجادتهم للغة العربية وفنون القول فيها فضلا عن معرفتهم للفقهاء والشريعة لذلك كان الملوك والحكام يرحبون بوجودهم ضمن حاشيتهم ولاسيما في افريقيا . إن الراوي المتكلم (عبد السميع بن ابراهيم المغربي) بتعريفه عن نفسه في رحاب السلطان يثير اهتمام القارئ وشوقه لمعرفة اخبار هذا البلاط الملكي واحداث رحلة الراوي من المغرب الى الشرق لكنه يصر على الابتداء بذكر سيرة حياته في خضم أخبار البلاط، والبلاد لأن صوت الراوي المتكلم صوت شاعري يملأه البوح والمناجاة للتعبير عن مكونات النفس وما تعانیه: ((كان هذا بعد ما انتقل مقر السلطنة الى سنّار، بعد سنوات من أول لقاء لي بالسلطان في منطقة فازوغلي. وربما أحكي لك عن ذلك إن اتسع صدرك وطاب لك حديثي. لكن دعني أحدثك عني الآن قليلا، فقد جئت الى هذه البلاد عابرا أول مرة منذ أعوام عديدة)) (فضل الله ، 2020، صفحة 12) إن (عبد السميع) مرّ بهذه البلاد في اثناء رحلته الى الحج مع الحاج (عبد الحميد اللقاني) الأندلسي وبعد عودته من أداء فريضة الحج قرر البقاء في اراضي هذه المنطقة (بلاد النوبة والعنج) وتوجه الى (علوان) التي تقع إلى الشرق من مملكة (سوبا) حتى استقر في بادية (البطانة) شرق بحر سوبا مع زوجته (صليحة) حفيدة الحاج (عبد الحميد اللقاني). ومن هذه المنطقة أخذ جنود السلطان (عمارة ود عدلان) واصطحبوه إلى البلاط ليعمل فيه كاتبا للحجج الملوكية بأوامر السلطان بعد أن يثبت اسمه فيها ((كان السلطان يأمرني بكتابة حجة تملك الاطيان ثم يختم الشهود بأختامهم بعد أن أمهر أنا عبد السميع المغربي اسمي عليها، باعتباري كاتب الحجة!)) (فضل الله ، 2020، صفحة 15) ،وكذلك أصبح معلم اللغة العربية لحاشية السلطان من القادة والنبلاء والحكام والشيوخ وحتى ابناءهم، لأنهم كانوا يتحدثون العربية ويفهمونها لكنهم لا يكتبونها. ويستمر الراوي المتكلم أخبارنا عن حياته بصوته الشجي إذ يقول: ((كنت قد فقدت الأب والأم في الوباء الذي ضرب بلاد المغرب، قبل مجيئي إلى هذه البلاد ، فلم يبق لي قريب ولا أهل هناك ، بعد أن قتل معظم أهل أبي وأهل أمي في الاندلس، قتلهم النصارى الذين غزوا تلك البلاد بعد أن استولوا عليها وأسروا كثيرين)) (فضل الله ، 2020، صفحة 13، 15) .

والراوي المتكلم يستحضر المروي له (المتلقي الخارجي) من خلال ضميري الخطاب (التاء والكاف) ويشخصه في النص ليدخله إلى عالم اللعبة السردية ويشعره بخصوصية الخطاب ولاسيما أن الراوي في جعبته الكثير من الأحداث والأخبار التي يود أخباره بها فهو يدعو المروي له للقيام بزيارة (سنّار) والتعرف إليه وعقد الصداقة معه ويخصه بمعرفة سيرة حياته وأوجاعه وأفراحه ((لو زرت سنّار يوماً حين نقل مقر الملك إليها...ثم رأيت شاباً يلبس جلابة مغربية مخططة...وسنحت لك الفرصة لتومئ له بالتحية، فلا تتس أن تحييه...ولو أومأت لي بالتحية خلصة لرددت عليك بمثلاً ، أو بغمزة من عيني خفية.. فلا أحد يجرؤ على الكلام في حضرة السلطان إلا بإذنه)) (فضل الله ، 2020، الصفحات 11- 12) الراوي المتكلم يتميز عند الكاتب (عمر فضل الله) بأنه يوجه السرد والحكي إلى الثقة من الناس ويحاول خلق روح الألفة والمودة معهم بإضفاء التميز عليهم حتى يستحقوا أن يوجه لهم هذا الحكي ، فهم الاصدقاء والثقة المقربون اليه .

ولا ننسى حقيقة ان الراوي المتكلم كان مروياً له قبل ان يتولى زمام الحكي فهو يغرف من وعي ومعرفة الشخصيات ليواصل ديمومة الحكي والاعبار بروح متدفقة ومتجددة وغالباً ما يلجأ إلى أسلوب الراوي التراثي في تقديم الحكي (حدثني، أخبرني) كما في قوله : ((حدثتني "صليحة" كثيراً كانت تحكي لي عن مجالس النساء في "بتري" وتتدفق في الحديث بعفوية ساذجة)) (فضل الله ، 2020، صفحة 62،83) كذلك ((حكّت لي عن ماضيها وحاضرها. أذكر انها قالت لي: أنت تعلم حبي لهذا المكان (بتري الشرقية) ففيه رأيتك أول مرة، وفيه تقدمت لخطبتي وفيه تزوجنا. فهذا المكان ذكريات حبيبة الى قلبي، خاصة وأني أقمت فيه مدة، وعقدت صداقات مع النساء هناك، فكُنّ يتناوبن على استضافتي عندهن، لكوني مغربية والنساء هنا مشرقيات، فكنت أجلس مستمعة لحواراتهن، أو أسألهن واتعلم منهن عادات وتقاليد هذه البلاد)) (فضل الله ، 2020، صفحة 54) هنا يتوارى صوت الراوي المتكلم (عبد السميع) خلف صوت شخصية زوجته (صليحة) ليترك لها الحكي في تقديم عالم النساء وما يدور فيه من أحداث وأحاديث، تقدم صورة عن حياة المرأة في بلاد السودان، نيابة عنه لأنه رجل لا يستطيع أن يسجل حضوراً صريحاً في مجالس النساء الخاصة ومما يتنافى مع الأخلاق العربية والإسلامية أن يروي رجل عن عالم النساء الخاص، بقولها: ((وجدتُ أن جميع النساء في (بتري الشرقية) وما حولها بلا استثناء لا يعرفن القراءة ولا الكتابة عدا امرأة واحدة، كان أبوها معلماً للقرآن...وعندما أخبرتهن أن معظم البنات المغربيات يذهبن للمحظرة لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة منذ الصغر رأيتهن مندهشات من هذا الكلام)) (فضل الله ، 2020، صفحة 55) ثم يتوارى صوت (صليحة) خلف صوت شخصية الحاجة (زهراء) التي تتقمص دور

الراوي التراثي وأسلوبه في تقديم الحكيم فهي ((حين تبدأ الكلام تشير بيديها ورأسها وتتكلم بجسدها كله وليس بلسانها فقط....قالت الزهراء : سوف أحدثنك بأعجب ما رأيت. ولا ريب أن بعضنك رأينه معي، لكن لم يتحدث به أحد لأن الشريفة (فاطمة المرضية) طلبت مني ألا أحدث بما رأيت عندها في بيتها، يوم أن ولدت ابنها إدريس... لكنني استأذنتها في الكلام بعد مضي كل هذه الاعوام، فأذنت لي على ألا أتكلم به إلا أمام الثقات من النساء مثلن! قلن لها: - نعم نعم، نحن ثقات. حديثنا يا حاجة زهراء!!)) (فضل الله ، 2020، صفحة 58)، وهنا يتوحد صوت المروي له داخل وخارج الحكاية للهفتهم لسماع القصة بقولهم(نحن الثقة) من أجل مواصلة الحكيم! ولشعورهم بالخصوصية والتفرد بسماع حكاية ولادة الشيخ(إدريس ود الأرباب). وهنا ترك الراوي المتكلم الحكيم لشخصية القابلة الحاجة (زهراء) لتحقيق المصادقية والاقناع لدى المتلقي فيما تروييه، فهي خير من يمثل عالمها ويسبر غوره ولخصوصية عالم النساء، إذ تحكي لنا عن الحمل والولادة وختان البنات ودق الشفاه والشلوخ.

ويستمر الراوي المتكلم (عبد السميع) في تقديم الشخصيات التي تحيط بالسلطان عن طريق الحوار المباشر معها أو الأخبار عنها لأنه ينتمي الى حاشية السلطان وبذلك يكون أكثر مصداقية وإقناع للمتلقي من غيره ويثبت حضوره الشخصي في سياق الأحداث ومعرفته بها. ومنها شخصية: اليهودي (روبيني) المدعو بـ(الشريف داود) والشيخ (عبدالله بن سعيد السمرقندي)، وفي تقديم الشيخ (السمرقندي) يلجأ الراوي الى الحوار بأسلوب يحقق التعريف بالشيخ، والتعريف بأحوال السلطان والسلطنة مما يزيد في معرفة الراوي (عبد السميع) لأحوال هذه البلاد: ((دعني الآن أخبرك عن هؤلاء الفونج واصلهم بما أنك ستقيم بين ظهرانيمهم...هم جملة من القبائل التي نزلت من جبال الشرق فسكنوا (لولو) قبل أن ينزحوا مع السلطان الى هذه المدينة (سنار). ("السمرقندي" ينطق لولو بتفخيم اللامين تماما مثلما ينطقها أهلها) . السلطان الحالي بعد ما تولى أمرهم غير كثيرا من عاداتهم واعرافهم وجمع حوله كثيرا من الأجناس والقبائل)) (فضل الله ، 2020، صفحة 95) وفي هذا الحوار يظهر حديث النفس من قبل الراوي المتكلم محصورا بين قوسين في حوارها معلقا على نطق (السمرقندي) ومتعجبا لإجادته لغة اهل السودان المتعددة وسعة معرفته لأحوال هذه البلاد ويختم لقاءه بـ(السمرقندي) بقوله: ((أمضيت مع السمرقندي يوما واحدا لكنني تعلمت منه الكثير. هذا الرجل ممتلئ علما وحكمة. وسوف أكثر من زيارته كلما وجدت لذلك سبيلا)) (فضل الله ، 2020، صفحة 102) هنا يتضح نصح الراوي المتكلم للمتلقي الخارجي بأهمية مصاحبة رجال العلم والمعرفة لتحصيل الفائدة والمنفعة في الحياة .

ونجد في فصل(الأرباب) التعريف بشخصية الشيخ الارباب (ادريس ود محمد) اذ يلجأ الراوي (عبد السميع) إلى الحوار مع الشيخ (ادريس) لمعرفة نهجه في تعلم علوم الدين بقوله: ((اين حفظت القرآن يا شيخ ؟

- حين كنت صغيرا أخذني أبي من (حليلة شوحطت) الى الشيخ "البنداري" الذي كان يقيم (بحلفاية الملوك)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 104) ثم تطرق الى الحكى عن دوره التاريخي المعروف في ترسيم حدود سلطنة (عمارة ود عدلان) ومشیخة (عبدالله القرين جماع) وتوحيد الممالك والمشیخات تحت زعامة ملك الفونج (عمارة) . ويخبرنا الراوي المتكلم عن الأزمة التي وقع فيها نتيجة تأمر زوجة السلطان مع بعض رجال الحاشية من أجل تمليكهم الأراضي والأطيان وإجباره على كتابة الحجج المزورة وعلى الرغم من محاولاته التنصل من هذا الأمر إلا إنه اضطر إلى موافقتهم ومسايرتهم متأملا الخلاص وتحدث المفاجأة بموت السلطان (عمارة ود عدلان) قبل اتمام اجراء وضع الأختام السلطانية على هذه الحجج ، ونجاته من هذه المكيدة (فضل الله ، 2020 ، صفحة 104 ، 150 ، 154) .

الراوي المتكلم في رواية (تشریقة المغربي) هو الشخصية الرئيسة في الرواية والمشاركة في الأحداث، إذ يتولى تقديم الحكى مباشرة أو سماعا عن طريق الشخصيات .

وفي رواية (رؤيا عائشة) جاء السرد من خلال الراوي المتكلم (الحفيد) الذي ينقل الحكاية التي سمعها من أبيه نقلا عن جده وعن (عائشة) ، قائلا ((السير برفقة أبي متعة لا تماثلها إلا متعة اللعب مع الصحب والأقران ، وقد اعتدنا السير معا في أرجاء البقعة أم دُرمان)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 9)، فالراوي المتكلم يسير مع أبيه وفي اثناء مسيرهما يعرض عليه أن يقص عليه حكاية الأجداد التي سمعها عن أبيه عندما كان في مثل عمره، وكأن هذا المسير وعبور الشوارع يمثل حركة موازية لعودة الوعي إلى الماضي واسترجاع الذكريات ومع انطلاقة القطار(الترام) تبدأ عملية سرد الأحداث قائلا: ((لكنه لم يبدأ حديثه إلا بعدما ركبنا التروماي متوجهين صوب الخرطوم ...أحسست حينها أن هذا الترام في انطلاقة نحو الخرطوم لا يسير بنا في المكان بل ينقلنا إلى الماضي عبر الزمان ، وصوت أبي يأتي من هناك وكأنه روح تحررت للتو بعد أن ظلت رهينة الكتمان ،فهو قد ورث من أبيه معرفة غزيرة وحكمة مستفيضة استمر يقصها عليّ حينما كبرت، فحفظت عنه الكثير)) (فضل الله ، 2020 ، صفحة 10).

وينطلق السرد في استرجاع حكايات الأجداد وأحداث مدينة (أم درمان) من خلال حكاية الأب لابنه الراوي المتكلم حكاية الجد: ((سمعت أبي في هذا المكان يقول إنه في مثل عمرك هذا ، كان يشهد مجالس والده القاضي في زمن المهديّة، وكان بيته هنا في البقعة أم درمان ..فيتداولون الحكايات والأحداث التي جرت في عهد الاتراك وأيام غردون ثم مجيء المهدي ، ويتذكرون الموتى والشهداء فيترحمون عليهم...حدثني أن أباه كان يحرص على عقد هذه المجالس في بيته سرا، وكان التعايشي خليفة المهدي قد منع مثل هذه التجمعات)) (فضل الله ، 2020، صفحة 11) وفي هذه المجالس ظهرت شخصية (ام المؤمنين عائشة) مع أن حضور النساء إليها كان ممنوعا: ((أما النساء فلم يكن لهنّ حظ ولا نصيب في مجالس التاريخ والانساب، بله مجالس العلم والدين، فعجب جدك من جرأتها وإقدامها، فأمرها عجيب وحضورها مريب)) (فضل الله ، 2020، صفحة 12) بعدها يتعرف (الطفل /الجد) الى هذه المرأة ويصاحبها ،ومن ثم تتولى الحكى وتخبرنا حكاية (المنتظر) قائلة : ((ليتني يا ولدي كنتُ خادمةً عند أمنا السيدة عائشة، أو عند سيد الوجود عليه الصلاة والسلام. يا ولدي أنا أمك عائشة زوجة المنتظر عليه السلام، فالناس يلقبونها أمهات المؤمنين. المنتظر له عائشان أنا احدهما، فأنا الزوجة الكبرى. وله غيرنا أيضا ثلاث فواطم. نحن نساؤه الشرعيات)) (فضل الله ، 2020، صفحة 13) وهنا يظهر صوت (عائشة) وهي تخبرنا حكاية (المنتظر) و(التعايشي) والجد حينها كان طفلا صغيرا مسموحا له مرافقة النساء: ((كنت يافعا لا يمنع من هو في مثل سني من الجلوس بالقرب من النساء. وعندما لاحظت المرأة اقترابي وانتبهت لفضولي، أشارت لي بيدها أن اقترب أكثر ففعلت. ولما دنوت مالت ناحيتي هامسة تسألني عن اسمي ثم اسم أبي، وحين أخبرتها عرفته لكونه من أعلام أم درمان)) (فضل الله ، 2020، صفحة 12) بعدها يستمر حضوره عندها كي تخبره حكاية المنتظر فيقول: ((ما زلتُ أذكر ذلك الحوار جيدا، رغم أنّه حدث منذ زمن طويل، لكنني حفظته بكل تفاصيله، فقد كان مدهشاً ومثيراً. وكنت صغير السن حاضر الذهن، لاتقوتني شاردة ولا واردة)) (فضل الله ، 2020، صفحة 16) استمع إلى سيرة (المنتظر) من (عائشة) فقد كانت امرأة حكيمة حريصة على نقل سيرة زوجها (المنتظر) إلى الأحفاد: ((فبدا لها أن تتقل إليّ سيرة زوجها الامام، وتخبرني بكل شيء عنه لأنقله لمن بعدي حين أكبر)) (فضل الله ، 2020، صفحة 16) وكانت حريصة على نقل الحكاية وكشف الحقيقة لكن بعد زوال الخطر الذي يمثله (التعايشي) وقد وعدتها بذلك ، و((حملت هذا العبء في صدري مثلما حملته هي من قبلي، وهو سر تنوء بحمله الجبال لكنها كانت قد وثقت بي فأخبرتني)) (فضل الله ، 2020، صفحة 18) ولخصوصية حكاية (المنتظر) اختارت أن ترويها لي في بيتها بعيدا عن الغرباء وخشية من اتباع (الخليفة

التعايشي) ولحرصها على أن اسمع كل التفاصيل فهي: ((بدأت تحكي لي وكأنها تزيح عن صدرها عبئا كبيرا وحملا ثقيلًا وبين الحين والحين كانت تميل نحوي لتطعن ركبتي بأصبعها فتنبهني أن ذلك الحديث هام، ولتوقن أنني متابع ومنتبه لما تقوله ... فهتمت من طريقتها في الحكي أنها تستودعني سرّ الاسرار فنحيت قرعة الحليب جانبا، وحشدت كل حواسي لاستمع منصتا فأستوعب ما تقوله)) (فضل الله ، 2020، الصفحات 18-19). ومن خلالها نعرف شخصية المنتظر، فهو (محمد احمد) ابن عمها وزوجها: ((احفظ عني يا ولدي، فمهما كذبوا على محمد احمد بأنه كان يسعى للمهدية ويطلبها في أول عهده فاعلم أن ذلك تزوير وكذب وبهتان فهو لم يقل في أي يوم إنّه هو المهدي أو إنه هو المنتظر إلا بعدما قابل هذا التعايشي، مع أنّه رأى ذلك الحلم العجيب وتلك الرؤيا المدهشة من المبشرات بمهدي الزمان قبل أن يلقاه عبد الله. والتعايشي كان يبحث عن المهدي ليتبعه. ولو كان يملك ما عند محمد احمد من صفات لنسب المهدوية الى نفسه ودعا الناس لاتباعه، لكنّه لم يجرؤ أن يدعي أنّه هو المنتظر) (فضل الله ، 2020، صفحة 25)

ومما سمعه الراوي المتكلم نقلا عن جده من معلومات تكمل سيرة شخصية محمد احمد (المنتظر) ما جاء في فصل (ميمونة المجنونة، ص31): ((كان جدك قد عاصر المهدي في شبابه ورآه قبل أن يخرج من الخرطوم غاضبا مهاجرا)) ونستمر مع الأب وهو ينقل لنا ما سمعه من (ابيه) جد الراوي المتكلم في فصل (بنات الخرطوم، ص47) وفيه نتعرف على مدينة الخرطوم في ذلك الزمان وأحوالها. وفي فصل (هينمة المحتضر ص56) نعود الى ما يحكيه الأب من خلال الجد عن لقائه ب(عائشة) التي تحدثه عن (محمد احمد المنتظر) ومن ثم ننتقل في فصل (رؤيا عائشة، ص72) الى عائشة وهي تروي اخر لحظات المتمهدي: ((فكانت آخر كلماته أن قال لي " أخبريهم أن الخليفة عبدالله التعايشي هو الخليفة الصادق، وقد عينه النبي للخلافة بعدي، فهو مني وأنا منه))، وفي فصل (الطريقة الموصلية للطريق ص110) نعود الى ما يحكيه الأب من خلال الجد : ((قال لي ابي قال جدك)). إن عائشة كانت تروي عن (المهدي) تفاصيل حياته بدقة على الرغم من أنها لم تعش معه طويلا. وان الراوي المتكلم ينقل عنها ما يخص حياة(محمد احمد المنتظر) الخاصة، وما يتعلق بالحياة العامة ينقله عن طريق الجد والأب: ((قلت لابي: لماذا سكت المهدي وأغضى عن قتل العلماء في الخرطوم وهل أمر الخليفة التعايشي بقتلهم?... فقال: الأتراك منذ دخولهم هذه البلاد ضمن حملة محمد علي حاربوا وقتلوا علماء أهل هذه البلاد ولم يراعوا مذاهبهم الفقهية ولا جماعاتهم الصوفية)) (فضل الله ، 2020، صفحة 182) .

نتائج البحث:

- تمكن الروائي (عمر فضل الله) من عرض الأيديولوجيا الثقافية والفكرية، التي يتبناها من خلال أيديولوجيا الإهداء، وإيديولوجيا الانتماء، والإيديولوجيا المجتمعية، والإيديولوجيا الدينية، والإيديولوجيا السياسية.
- خلق من أحداث التاريخ إطارا عاما تتحرك فيه الشخصيات التخيلية الى جانب الشخصيات التاريخية الحقيقية في وحدة فنية تتنامى الأحداث فيها وتتشابك بسلاسة أخاذا في السرد .
- حرص الكاتب على التعريف بعادات وتقاليد الشعب السوداني وبكل مايمت له بصلة مع إظهار فكرة ضرورة المحافظة على تراث الأجداد، وإقامة الصلة ما بين الحاضر والماضي، وإعادة قراءة التاريخ بما يصب في مصلحة مستقبل الأمة.
- إن تقنية الراوي المتكلم ساعدت على تحقيق وايصال أيديولوجيا وأفكار الكاتب الى المتلقي من أجل خلق رؤية جديدة عن السودان خاصة وإفريقيا عامة .
- يتميز الراوي المتكلم عند الكاتب (عمر فضل الله) بأنه يوجه السرد والحكي الى الثقة من الناس ويسجل حضورا للمروي له، ويحاول خلق روح الألفة والمودة معهم بإضفاء التميز عليهم حتى يستحقوا أن يوجه لهم هذا الحكي ، فهم الاصدقاء والثقة المقربون اليه .
- يستدعي الراوي المتكلم المروي له (المتلقي الخارجي) من خلال ضميري الخطاب (التاء والكاف) ويشخصه في النص ليدخله الى عالم اللعبة السردية ويشعره بخصوصية الخطاب، وفي الاغلب الاعم ما يلجأ الى أسلوب الراوي التراثي في تقديم الحكي (حدثني، أخبرني)

قائمة المراجع:

- ابراهيم الخطيب. (1982). *نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلايين الروس*، ط(1). الشركة المغربية للنشرون المتحدون و مؤسسة الأبحاث العربية.
- احمد الكاتب. (2007). *الأمام المهدي "محمد بن الحسن العسكري" حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية؟* ط(5). لندن: الدار العربية للعلوم- ناشرون ودار الشورى.
- أمل مبروك. (2011). *الاسطورة والايديولوجيا*. بيروت - لبنان : التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- تاج السر عثمان. (2008, 10 23). *الحوار المتمدن*. تم الاسترداد من <https://www.ahewar.org/>
- دباخ حنان. (2013). *الثورة المهدية في السودان (1899م-1881م)*، (رسالة ماجستير). بسكرة: جامعة محمد خيضر- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية - شعبة التاريخ.
- صلاح فضل. (1978). *الواقعية في الابداع الادبي*. الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- عبد الحق بلعابد. (2008). *عتبات جيرار جيئيت من النص الى المناص* ط(1). الدار العربية للعلوم- ناشرون، منشورات الاختلاف.
- عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون . (2004). *مقدمة ابن خلدون* ط(1).تحقيق (عبدالله محمد الدرويش) دمشق: دار يعرب.
- عبدالله ابراهيم. (2017). *ما هي الأيديولوجيا؟ علم الأفكار أم الأفكار من دون علم* ط(1) . بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
- عبدالله العروي. (2012). *مفهوم الأيديولوجيا* ط(8) . بيروت: المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء.
- عبدالله حسين. (2013). *السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية* . مؤسسة هنداوي .
- عبدالله عبد الوهاب محمد الانصاري. (2000). *الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة دراسة مقارنة بين كارل مانهايم وتوماس كون*(رسالة ماجستير). جامعة الاسكندرية، كلية الآداب - قسم الفلسفة .
- عمر فضل الله . (2020). *أنفاس صليحة* ط(1). دار البشير للثقافة والعلوم.
- عمر فضل الله . (2020). *تشرية المغربي* ط(1). دار البشير للثقافة والعلوم.
- عمر فضل الله . (2020). *رؤيا عائشة* ط(1). دار البشير للثقافة والعلوم.
- مجدي وهبة، و كامل المهندس . (1979). *معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب*. بيروت : مكتبة لبنان .
- منير البعلبكي. (1990). *المورد، قاموس إنكليزي - عربي* ط(24). بيروت: دار العلم للملايين.